



## سيرة<sup>1</sup> وآلامات أمنا القديسة بين القديسات سيسيليا<sup>2</sup> التي من روما

القديسة سيسيليا الشهيدة والذين معها أي فاليريان و تيبوريتوس جاهدوا في أيام حكم الإمبراطور الاسكندر ساويرس (222-235م). ولدت سيسيليا في روما من أبوين من أصل شريف مع أنهم كانوا من عبدة الأوثان. ومع هذا كانت الفتاة منذ صغرها تكرم المسيح لأنها بالفطرة كانت فطنة وعاقلة وحكيمة. وقد فهمت أن الأوثان التي بلا روح ليست فقط حماقة بل حيلة مأكرة لخداع واقتناص النفوس. وهكذا إذ أنها كرهتهم كشيء عديم النفع ومثير للاشمئزاز، فقد اشتهدت وأحبت المسيح بكل نفسها كمعطى الخيرات الحقيقي ومخلص الجميع. في كل لحظة ممكنة كانت - خالدة الذكر هذه - تصوم وتعمل ميطانيات وتصلى في الخفاء، تسرف في الصدقات، وتسلك بالفضيلة. بل وأكثر من هذا فقد لبست ثوباً ليفياً خشناً على جلدها حتى تقمع حركات الجسد وتخضعه للروح. والدا القديسة سيسيليا، كانا غير عالمين بتقواها ومعرفتها الإلهية، ولذا قررا أن تُخطب إلى فاليريان الوثني الغنى. وبالرغم من أنها لم تشته الزواج ولكنها كانت ترجو أن توصله إلى التقوى المسيحية. ولذلك فقد وافقت على الزواج.

ومع هذا لم يكن عقلها ولا قلبها في حفلة العرس. إذ بينما كان الآخرون يغنون ويرقصون، كما هي العادة في العالم كانت هي تدخل حجرتها مرات عديدة، بمفردها، وهناك كانت تسجد على الأرض وبدموع تصلى إلى السيد المسيح كي يمنحها نعمة وقوة لتحفظ بتوليبتها بغير انثلام. وسألت أيضاً من أجل زوجها لكي يؤمن. والرب الذي يريد خلاص الإنسان وأن الجميع يأتون إلى معرفة الحق، منح بتدبيره كل ما اشتاقت إليه الفتاة.

ولما مضى المدعون كان فاليريان وسيسيليا وحدهما في حجرة العرس وإذ كان يعد نفسه للنوم قالت له الفتاة الحكيمة: "إقسم لي أنك لن تبوح بما سأخبرك به وأنا سأعلمك سرّاً عظيماً". حينئذ حلف لها أنه لن يفشى بسرّها إلى أي إنسان فقالت: "أعلم ان لي ملاكاً مخوفاً وعجيباً من عند الله يحرس جسدي بعناية حتى لا يدنسني إنسان. والآن إن هو رأى أنك تريد أن تلمسني بدافع شهوة جسدية فسيغضب ويقتلك في الحال. وبذلك تفقد زهرة شبابك. ومع ذلك، إن هو رأى أنك تحبني بطهارة ونقاوة كأخت لك، هو سيحبك كما يحبني وسوف يظهر لك ذاته!"

تعجب الشاب من كلامها وقال: "إذا أردت أن أصدقك فاطهري لي هذا الحامي السمائي. وإن كان بالحقيقة ملاكاً، فأنا سأفعل كل ما تأمريني به من الآن فصاعداً".

فأجابت قائلة: "إذا لم تطهر نفسك أولاً من دنس الأوثان ثم تعتمد بإسم الثالوث القدوس الأب والأبن والروح القدس وتؤمن بالإله الواحد المثلث الأقانيم، حينئذ تستحق أن ترى ملائكته النارية". فأجاب فاليريان: "ومن يقدر أن يطهرني؟"

أجابت الفتاة: "أخرج من المدينة وبقرّب الميل الثالث لطريق أبيّاً في ذلك المكان الموحش الذي يسكن فيه الفقراء المعدمين. وعندما تجد فقيراً يسألك صدقة فاسأله بالنيابة عني - لأنهم يعرفونني إذ قد أعطيتهم صدقات مرات كثيرة - أن يوصلوك إلى أوربان رئيس الأساقفة<sup>3</sup>. ويمكنك أن تبوح له بالسر، وهو سيقوم بعمل اللازم. وحينئذ سوف تعالين الملاك".

<sup>1</sup>The Lives of the Holy Women Martyrs

قامت بالترجمة من اللغة الإنجليزية د. مرفت اسكندر في 2 يناير 2000م 23 كيهك 1716ش

<sup>2</sup> في السنكسار القبطي يذكر اسمها "كيليكيا" ولكننا سنكتب اسمها سيسيليا (Cecilia) حسب الأصل الأنجلزي المترجم عن اليوناني

<sup>3</sup> Urban I أول أوربان الأول رئيس أساقفة روما (223 - 233م) غير مؤكد إذا كان هذا البابا استشهد بقطع رأسه أثناء اضطهاد الاسكندر ساويرس.



فقام فاليريان وذهب إلى الأب الروحي وشرح له الأمر بالتفصيل. استقبل الأسقف فاليريان بفرح، ثم أحنى ركبتيه وصلى بدموع للرب قائلاً: "أشكرك أيها السيد يسوع المسيح، باذر النقاوة، الذى، يامن أنرت على عبدك فاليريان الذى كان سابقاً مثل أسد وحشى الذى تعلم على يديّ عروسك التى بلا عيب "سيسيليا" وأصبح مثل حمل وديع".

وبعد أن انتهى من صلاته، ظهر شيخ وقور لابساً حلة بهية، وحاملاً فى يديه كتاباً فيه كتابة بحروف ذهبية. فسقط فاليريان من الخوف على الأرض كميم. فأقامه الشيخ قائلاً: "أقرأ هذا الكتاب وأخبرنى إذا كنت تؤمن أن ماهو مكتوب هو حق". وكان مكتوب فى الكتاب "واحد هو الله. واحد هو إيمان المسيحيين. واحدة هى المعمودية المقدسة"<sup>4</sup>. وعند قراءة هذه الكلمات ذهل الشاب وصرخ بصوت عال: "إنى أومن بهذه الأشياء من كل قلبى" ثم اختفى الشيخ. وبفرح نال فاليريان المعمودية المقدسة على يديّ أوربان.

وعندما رجع فاليريان - الذى استنار حديثاً - وجد سيسيليا تتحدث مع ملاك مقدس. لقد أحضر الملاك معه من الفردوس إكليلين من ورد عطرى الرائحة وزهور السوسن. وأعطى واحداً لفاليريان والآخر لسيسيليا قائلاً: "احفظوا بلا دنس النفس والجسد، هذه الأكاليل العجيبة والمختارة المرسله لكما من السيد المسيح من الفردوس. وكعلامة أكيدة أن هذه الأكاليل سمائية وليست أرضية، أن عطرها لن يقل وأوراقها لن تذبل. وأكثر من هذا، لن يرى أحد هذه الأكاليل إلا من يحفظ الفطنة والحكمة ويؤمن بالمسيح مثلكما. والآن يا فاليريان اسأل ما تتمنى حيث أنك صدقت المشورة البناءة للنفس التى أعطتها لك زوجتك".

فأجاب فاليريان الملاك قائلاً: "إنى لا أشتهى ولا أتعطش لشيء أكثر من أن يؤمن أذى بالسيد المسيح حتى يشترك فى هذه النعمة".

أجاب الملاك: "وهذا أيضاً يشتهييه المسيح وهو سيجيب طلبتك حتى أنكم سوياً تأتون إلى الفردوس سريعاً".

وفى نفس الساعة أتى تيبورتيوس أخو فاليريان ودخل الحجرة التى كان فاليريان وسيسيليا يتحدثان فيها. لقد اشتهم الرائحة الذكية الحلوة والمبهجة وتعجب. ثم سأل فاليريان: "ما هذا العبير غير العادى الذى لا يشبه أى شئ أرضى؟"

أجاب فاليريان: "لقد تضرعت إلى الله من أجلك إن أنت آمنت به كما نؤمن نحن، أن تعالين إكليلين جميلين من زهور عطرة وقد أحضروا من الفردوس اليوم".

فقال تيبورتيوس: "كيف يمكن أن يحضروا لكم هدايا من الفردوس؟"

أجاب فاليريان: "صدقنى ياأخى الحبيب، إننا إلى الآن كنا عميان وجهال ونعبد أوثاناً صماء لا روح لها، أعمال الشياطين والرجاسات الباطلة. إن الإله الحقيقى هو فوق فى السموات الذى خلق كل العالم ويحكم كل الأشياء المرئية وغير المرئية".

ثم سأل تيبورتيوس: "كيف تعلمت مثل هذه الأسرار الخفية والعجيبة؟"

أجاب فاليريان: "ملاك الرب أعلنها لى من خلال طهارة الروح وصلاح "سيسيليا". وهو أيضاً سيهيك أن تراه أن اعتمدت على اسم المسيح الذى صلب من أجل الخطاة. ولذلك يجب عليك أن تزدري بالأوثان الشريرة الفارغة".

ولكن تيبورتيوس أجاب: "إنى غير قادر أن أفهم كلماتك".

حينئذ قالت سيسيليا: "إنى أتعجب جداً كيف أنك لا تعلم أن الأوثان مثل الأموات والأجساد التى بلا حياة. بالرغم أنهم يظهرون أن لهم أيدي وأرجل ولكنهم لا يعملون ولا يشعرون".

4 أنظر أفسس 4 : 4 " رب واحد إيمان واحد . معمودية واحدة . "



هذا وغيره الكثير مما قالته الفتاة القديسة التي قادت "تبيورتيوس" إلى التقوى حتى أنه اعترف بالمسيح كإله حقيقي. ثم عانقته سيسيليا وقبلته على جبهته قائلة: "الآن سأعترف بك كصاحب قرابة حقيقية لي لأنك تؤمن بالإله الحقيقي وتزدرى بالأوثان الكاذبة الحمقاء. ولذلك اذهب مع أخيك لتجد أوربان رئيس الأساقفة حتى يمنحك المعمودية المقدسة".

فقال لها تبيورتيوس: "لقد سمعت الحاكم يتكلم حين أمر بالبحث عن أوربان أنهم سيقودوه إلى ميتة صعبة. ولذلك أخاف إذا وجدنا في صحبته أن يسجنونا ويقتلونا معه".

فقالت الفتاة: "إذا لم يكن هناك حياة بعد الموت، كان لنا الحق أن نشتهي هذه الحياة الحاضرة لأنها الحياة الوحيدة لنا. ولكن إذ أننا ذاهبون إلى حياة أخرى لنفرح ونسر مع السيد إلى الأبد، فلا يليق أن نخشى موتاً مؤقتاً".

فأجاب تبيورتيوس: "لم أسمع أبداً عن حياة أخرى". فأردفت العذراء سيسيليا: "هذه الحياة الحاضرة مليئة بالضيق والآلام والهموم. وبعدها موت حتمي ينقل النفس البارة غير المائنة إلى فرح لا ينتهي. ولكن الخاطيء يحمل إلى أحزان لا ترحم وعذاب لا يتوقف".

حينئذ سأل تبيورتيوس: "هل قام أحد من الموت وأخبر بهذه البشارة المفرحة للأحياء؟" أجابت سيسيليا: "إن الله القادر وخالق الكل أرسل ابنه إلى العالم. تجسد من الروح القدس وصار إنساناً أخذاً جسداً من كلية القداسة العذراء مريم وقد صنع معجزات عظيمة، أقام الموتى، شفى المشلولين وجميع الأمراض الأخرى. مشى على الماء كما على الأرض، أعطى نوراً للعميان وأعمالاً أخرى عجيبة عملها بقوته الإلهية العظيمة".

ثم تكلمت سيسيليا عن كل أعمال السيد الأخرى العظيمة وعن صعوده وفي النهاية قالت الفتاة الحكيمة لتبيورتيوس: "إذا أمنت بكل هذه الأشياء بكل قلبك وازدريت بما هو زمني، فسوف ترث الخيرات التي تبقى إلى الأبد، وتفرح في ملكوت السموات مع السيد المسيح. وإذا فضلت الملذات الوقتية، والمجد الباطل، والغنى الفاسد، فستموت غداً وتذهب للعذاب الأبدى".

فسقط تبيورتيوس عند قدمي الفتاة القديسة باكياً وقال: "أرى أن كلماتك ليست كلمات إنسان ولكنها نطقاً ملائكياً. لنذهب يا أخي فاليريان إلى ذلك الرجل القديس حتى يعمدني بسرعة حتى أرث الحياة الأبدية!"

ذهب الأخوان إلى رئيس الأساقفة وأعلنوا له الأمر. فعمد أوربان تبيورتيوس الذي نال مواهب روحية عديدة بالمعمودية المقدسة ومن ضمنها رؤية الملاك.

وفي ذلك الوقت كان في روما حاكم قاسى وعنيف يدعى دالماتيوس وقد أخضع المسيحيين لعقوبات متنوعة. وبعد ذلك يميتهم بلا رحمة ويقطع أجسادهم في العراء ولا يسمح بدفنها. وقد استخدم هذه الأساليب غير الإنسانية حتى يدخل الخوف في قلوب المسيحيين الأمناء حتى لا يعترفوا باسم المسيح الممجد.

فاليريان وسيسيليا وتبيورتيوس الشجعان مضوا ليلاً ودفنوا الأجساد سراً. هؤلاء الثلاثة القديسون كانوا يجزلون العطاء والصدقات على المسيحيين الذين اختبئوا خوفاً من الوثنيين. ليالي عديدة مرت عليهم وهم يكفنون الأجساد كعادتهم. ولكن في ليلة ما رأهم بعض الناس وأبلغوا الحاكم. فأمر دالماتيوس بحبس الأخوين. وأسلموهم لمأمور من عند الإمبراطور ليحرسهم يدعى مكسيموس. في الصباح مضت سيسيليا إلى السجن لتشجعهما وقالت: "الآن يا جنديا المسيح قد جاءت الساعة لتظهرا شجاعتهما. لذلك لا تتراجعا أمام الموت الزمني، بل جاهدا بحسب القانون حتى تفوزا بالإكليل غير المضمحل من يد الرب".

في هذه اللحظة صدر أمر لمكسيموس من الحاكم أن يحضر السجينين إلى هيكل الأوثان الذي خارج المدينة، وإذا رفض الأخوان أن يسجدوا للأوثان فعلى مكسيموس أن يقطع رأسيهما. وعند



وصولهم إلى الهيكل استخف فاليريان وتيبورتوس بالأوثان قائلين: "هذه ليست آلهة بل شياطين. لذلك نحن لن نسجد لصنعة أيدي الناس، ولكننا نسجد ليسوع المسيح وحده، الإله الحقيقي الذى صنع السماء وكل الخليقة".

ولأنهما رفضا السجود للأوثان تقدم مكسيموس وقطع رأسيهما. وهكذا سعدت روحا القديسين فاليريان وتيبورتوس إلى العلاء تحملها الملائكة مرتلة إلى السماء. وهذه الظاهرة السماوية رآها مكسيموس والذين كانوا فى ذلك المكان من المتفرجين اليونانيين. فأمن عدد منهم بالمسيح واعتمدوا

وعندما أتى الليل ذهبت سيسيليا فى الخفاء مع أكبر عدد ممكن من المسيحيين وأخذوا الأجساد بكل وقار. ثم دفنوا الأخوين القديسين بكل كرامة كما يليق .

بعد وقت أمر طلب دالماتىوس أن يستولى على ممتلكات فاليريان وتيبورتوس وهكذا علم أن سيسيليا أيضاً مسيحية. فنصحها أن تجحد المسيح وتعبد الأوثان. ولكنها صاحت علانية وبلا خوف: "إنى لم أعبد الشياطين قط!" فأمر دالماتىوس عبيده أن يعاقبوها بطرق متنوعة. ثم يسجنوها فى بيت حتى جلسة الحكم الثانية.

وبينما كان الجلادون يعذبونها قالت: "إنى يا أختى أفرح بمحبة المسيح وسط هذه التأديبات المرعبة. أنا أتأسف فقط عليكم لأنكم تخضعون لحكام غير رحومين وتغضبون خالقكم ومخلصكم، الكلى الصلاح والرحمة الذى يمكنه أن ينعم عليكم بالحياة الأبدية".

فقال لها الجلادون إشفافاً عليها: "لا يكن الأمر هكذا أيتها الفتاة الشريفة الأصل أن تموتين هكذا مهانة ومخزية مثل أحد المجرمين أو السارقين وتفقدين حياتك الغالية".

أجابت القديسة: "يا عديم العقل هذا لا يحسب فقدان للحياة ولكنه استبدال حكيم لأنى أقدم طيناً بلا كرامة وسأخذ عوضاً عنه ذهباً غالى القيمة. عوض هذا الموت الزمنى والقصير سأنال حياة أبدية، وبدلاً من هذا العذاب القليل سأنال مجداً أبدياً".

قالت هذا بالإضافة إلى كلمات أخرى نافعة لخالص النفس، نطقت به القديسة حتى آمن - الحراس والمتفرجون - بالمسيح وقالوا: "نحن أيضاً مسيحيون من أجل كلماتك المقدسة والصحيحة".

وفى الليل ذهب الأسقف القديس إلى البيت الذى كانت القديسة تحت الحراسة فيه. وبعدما عمد أربعمئة شخصاً قضوا الليل كله فى الصلاة مقدمين الشكر للرب.

وفى اليوم التالى عندما علم دالماتىوس بأحداث الليلة السابقة غضب وقال للشهيدة: "ألا تعرفين بعد أن بقوتى العظيمة يمكننى أن أقتل كل مسيحي أجدّه فى مقاطعتى؟ ومع هذا تتجاسرين وتحولين خدامى إلى طريق آخر وتزدرين بالأحكام الملكية التى تأمر المسيحيين بجحد المسيح وتوقير الأوثان؟"

فأجابت المجاهدة - من أجل المسيح - بلا خوف: "إن قوتك وألهتك مثل البالونات المملوءة بالهواء إذا ماتقها أحد بدبوس تصير بلا فائدة".

أجاب الحاكم: " اتركى الكلام الفارغ أيتها المرأة الوقحة. إما أن توقرى الآلهة وإلا سأوقع عليك موتاً مؤلماً وشنيعاً، لأنك أيتها المتجاسرة قد ضحكت على زوجك و تيبورتىوس وساعدت على موتهم فى غير أوانه".

فأجابت الشهيدة: "وقع على أى كمّ من العقوبات كما نشتهى. كلما تزيد تعذيبى تزيد فرحى وسرورى".

فقاطعها قائلاً: "لماذا تتكلمين بمثل هذا الغرور أيتها المتكبرة؟"



فقالت هي: "إن الكبرياء التي هي خطية شئ، ولكن السلوك بشجاعة شئ آخر. لأنه بالأحرى فضيلة وليس عيباً. هذا لأن كل من لا يهاب الموت، بل له حب المسيح الإله الحقيقي، هذا لا يدعى متكبراً بل شجاعاً وباسلاً".

عند سماع هذا أمر الطاغية بإلقائها في قدر ماء يغلي. جمع الخدام كل ما أمكنهم من الخشب ووضعوه تحت القدر حتى ارتفعت النار. ومع هذا فقد تعبوا عبثاً إذ أن الفتاة القديسة لم ينلها أى أذى بينما كان الماء يغلي جداً. بالحق كان الماء الحارق مثل الندى بالنسبة لها. ولما رأى الحاكم الأحمق الذى بلا إحساس أن خدامه ابقوا النار مشتعلة لمدة يوم كامل وليلة كاملة وأن "سيسيليا" وقفت فريحة ومسبحة، ظن أن هذا من فعل السحر. ولذلك أمر بقتلها وهي فى القدر.

فأسرع الجلاذ وطعنها بخنجر ثلاث مرات. ومضى كل المتفرجين تاركين إياها ميتة. وفى الليل ذهب المسيحيون ليأخذوا جسدها فى الخفاء. وإذ وجدوها حية تصلى قالت لهم: "لقد سألت الرب ألا أموت حتى أكرس بيتي كنيسة على اسم السيد المسيح وأبشر بالحق".

ولما رأى المؤمنون هذه الأعجوبة غير العادية، غمسوا ثيابهم فى دمها الذى كان يسيل من 7 جراحها. فقد اشتها أن يحتفظوا بها كدواء لشفاء أمراض الجسد والنفس. عاشت الشهيدة الموقرة ثلاثة أيام أخرى تركز وتبشر بالإيمان لكل من رآته وبذلك حولت كثير من اليونانيين الوثنيين إلى الإيمان.

أثناء هذا، ذهب رئيس الأساقفة أوربان فى الليل أمام القديسة وكرس بيتها كنيسة. وصار هذا المكان فى روما موقراً من الجميع.

ثم علمت القديسة سيسيليا المؤمنين أن لا يتركوا الحق وإنما يحفظوا الإيمان حتى إلى سفك الدم. حثتهم على أن يحتقروا العالم الحاضر كعالم باطل وزائل حتى يمكنهم أن يتمتعوا بالحياة الأبدية فى السموات. وبعد أن علمتهم وأكملت كل ما اشتتهته تجاه الله ، أسلمت سيسيليا التى ذاع صيتها نفسها المباركة فى الثانى والعشرين من نوفمبر<sup>5</sup>.

فقام رئيس الأساقفة مع الإكليروس بتكفين جسدها فى بيتها بإخلاص وتوقير. وكان سكن القديسة سيسيليا أصبح مزاراً لآلاف من الزوار عبر القرون المختلفة. جسدها الذى بقى سالمًا ولم يفسد اشتهر بعمل المعجزات لمجد الله. وهي تعتبر إحدى الشفعاء من أجل ألعان الكنيسة. أمين .

<sup>5</sup> احتفظنا بتاريخ 26 هاتور حسب السنكسار القبطى الذى يذكر استشهاد القديسين بالاربانوس وأخيه ثيبورينوس تحت يوم 26 هاتور ، ويذكر فيه استشهاد كيليكيا زوجة بالاربانوس